﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾ [الأعراف: 133]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

حُلولُ العقوباتِ الفادحةِ، جزاءُ جـرائـرِ الـكـفـرةِ الفاضِحةِ

حين أخبروا عن أنفسهم أنَّهم لا يؤمنون بشيء ممَّا يجيء به موسى، مِنَ الآيات التي هي في زَعْمِهم مِنَ السِّحْر، نزلت بهم مِنَ اللّه ﷻ أصنافُ العقوبات[1]. ولـمَّا جنَّسُوا فنونَ المخالفاتِ، ونوّعوا أصنافَها؛ جنَّسَ عليهم العقوباتِ، فلا إلى التَّكفير عادوا، ولا إلى التَّطهير تَصَدَّوا، وعُوقبوا بصرف قلوبهم عن شُهود الحقائق؛ وذلك أبلغ ممَّا اتَّصل بظواهرهم مِن فنون البلايا، نعوذ باللّه مِنَ السُّقوط عن عين اللّه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾: (طوف) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على دَوَران الشَّيء على الشَّيء، وأن يُحَفَّ به ثمَّ يُحْمَل عليه[3]، والطُّوفان: الماءُ الذي يَغْشَى كلَّ مكان، ويُحيط به[4]، وقيل: الطُّوفان المَوْت[5]، ويُقَال لِشدَّة سَوادِ اللَّيْل: طُوفان[6]. والطُّوفان مِن كُلِّ شَيءٍ: ما كان كثيرًا مُطيفًا بالجَماعة كلِّها، كالغَرَقِ الذي يَشْتمِلُ على المُدُن الكَبيرَة، والمَطر، والقتل الذَّريع، والموت الجارف[7]، فالطُّوفان: كلُّ حادثة تُحيط بالإنسان.

(1) الشّوكانّي، فتح القدير: 2/271.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/560 - 561.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طوف).
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (طوف).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 13/51.
(6) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (طوف).
(7) الزَّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/164، والنَّحاس، معاني القرآن الكريم: 5/217.

وعلى ذلك قولُه: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133]، وصار متعارفًا في الماء المتناهي في الكَثْرة؛ لأجل أنَّ الحادثة التي نالت قومَ نوح كانت ماءً، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ [العنكبوت: 14][1]، وبه فُسِّرتِ الآيةُ الكريمة عند أغلب المفسِّرين، قال الزَّمخشريُّ: "الطُّوفان ما طاف بهم وغلبهم مِن مطرٍ أو سيل"[2].

2) ﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾: يجوز أن يُجْعَل أصلًا فيُشْتَقُّ مِن فعله: جَرَدَ الأرض، ويصحُّ أن يُقال: إنَّما سُمِّيَ لجَرْدِه الأرضَ مِنَ النَّباتِ، يقال: أرضٌ مجرودة، أي: أُكِلَ ما عليها حتَّى تجرَّدتْ[3]، والجراد يأكل خَضِرَ الأرض التي يمرُّ بها، ويتركُها جَرْداء[4].

3) ﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾: وهو الدُّبَى الذي لا أجنحة له[5]، أو دَوَابُّ أصغَرُ مِنَ الْقَمْل[6]، أو هي الصِّغار مِنَ الجَراد الذي ليس له أَجْنِحَة، وتُسَمَّى: الجنادِب[7]، أو هي دوابُّ صغارٌ مِن جنس القِرْدان، إلَّا أنَّها أصغرُ منه[8]، أو صِغار الذَّرّ[9]، ومع اختلاف تحديد نوع هذه الحشرة، إلَّا أنَّها لا تَخرج بمجموعها عنِ الاتِّفاق على كونها حشرةً مُضِرَّةً مُؤْذِيَةً، أَكَلَتْ كلَّ ما كان أبقى الجرادُ[10].

4) ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾: جمع ضَفْدَع، أو ضُفْدَع، أو ضُفْدُع، أو ضِفْدَع، وهي: دابَّةٌ نهريَّة[11]، أو حيوانٌ برمائِيٌّ مِنَ الفقاريَّات، دقيقُ العظام، ذو نقيق، ليس له ذيل، سريع السِّباحة (للمذكَّر والمؤنَّث)[12]، وقد أُرسِلَت على قوم فرعون الضَّفادِع تَدْخل في ثيابِهم وفي طعامِهم[13].

5) ﴿وَٱلدَّمَ﴾: الدَّمُ معروف، وأصله: دَمَيٌ، أو دَمْيٌ، أو دَمَى، أو دَمًا[14]، وهو: مائعٌ أحمرُ

(1) الرّاغب، المفردات: (طوف).
(2) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 2/146.
(3) الرّاغب، المفردات: (جرد).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (جرد).
(5) الفرَّاء، معاني القرآن: 1/392.
(6) الزَّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/370.
(7) الأنباريُّ، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس: 1/222، والكَفويُّ، الكلِّيَّات، ص: 738.
(8) النَّحاس، معاني القرآن: 3/70.
(9) الرّاغب، المفردات: (قمل).
(10) الفرَّاء، معاني القرآن: 1/392.
(11) الفيروزابادي، القاموس المحيط، ص: 742.
(12) مجموعة باحثين، المعجم الوسيط: 1/541، وأحمد مختار عمر، معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة: 2/1365.
(13) الزَّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/370.
(14) الخليل، العين: (دمي)، والزَّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/165، والأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (دمي).

تمتلئ به أثناءُ بدنِ الحيِّ، فيتجسَّمُ الحيُّ ويتماسك، كالدَّم المعروف في أثناء البدن وعُرُوقه[1]، وهو معنى لفظةِ (الدَّم) في الآية المباركة، أي: أرسل اللّٰهُ عليهم (الدَّمَ)، فتحوَّلت عيونُهم وأنهارُهم دمًا[2]، أي: جعل مَاءَهم دَمًا[3]، وكانوا يجدون الدَّم في ثيابهم وشرابهم وطعامهم[4].

6) ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: (فصل) كلمةٌ صحيحة، تدلُّ على تمييز الشَّيء مِنَ الشَّيء وإبانته عنه[5]، والفَصْل: إبانةُ أحدِ الشَّيئين مِنَ الآخر، حتَّى يكون بينهما فُرْجَة[6]، وتَمييزُ الشَّيءِ مِن غيره مع تمام، وتفصيل الشَّيء: تبيينُهُ، أي: جَعْلُه فُصولًا مُتمايزةً، بتمييز أجزائه، وتوضيح جُزْئيَّاته، فيصبحُ موضَّحًا، مُزالَ الإشكال[7].

و﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾، أي: إنَّ بعضها منفصِل مِنْ بعض[8]، أُزيل اتِّصالها، وفُرِّق بينَها، وأُزيلَ اشتراكُها وإشكالُها، فيجيءُ مِن ذلك بيانُها، فهُنَّ مبيَّناتٌ ظاهراتٌ مُتَميِّزاتٌ وواضحاتٌ، أو هُنَّ: مُفَرَّقاتٌ بالزَّمن[9]، فُصِل بين بعضِها وبعضٍ بزمانٍ تُمْتَحَنُ فيه أحوالُهم[10].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

لـمَّا تمادَوْا في كفرهم، وصرَّحوا بعدم الإيمان، أرسل اللّٰهُ عليهم أنواعَ العذاب؛ مِنَ ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ الذي غَشَّى المكانَ كلَّه ماءً، و﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكلتْ عامَّةَ زروعِهم وثمارِهم، و﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ فتَتَبَّعَ ما بقيَ مِن حُروثهم وأشجارهم، و﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ تدخل في طعامهم

نِـقَـمُ الـلـهِ المـتـلاحـقـةُ، الّـتـي تـوالَى إنزالُها بالآياتِ الصّاعقةِ الماحِقةِ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (دمي).
(2) الفرّاء، معاني القرآن: 1/392.
(3) الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/370.
(4) النَّحاس، معاني القرآن: 3/70.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فصل).
(6) الرّاغب، المفردات: (فصل).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (فصل).
(8) الزَّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/370.
(9) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/444، والزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/148، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ: (فصل).
(10) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 2/148.

وشرابهم، و﴿وَٱلدَّمَ﴾ فسالَ النِّيلُ عليهم دمًا، وصارت مياههم كلُّها دمًا، وأرسل اللهُ كلَّ ذلك آياتٍ ظاهراتٍ مُتميِّزاتٍ، الواحدةَ بعدَ الأُخرى، وكانوا مع كلِّ آية مِن هذه الآيات يسألونَ موسى أنْ يرفع عنهم العذابَ، معاهدينَ إيَّاه بالإيمان، فإذا رفعه اللهُ تعالى عنهم عادُوا جاحدينَ كافرينَ مستكبرينَ عن عبادته؛ لكونهم قومًا مجرمين[1].

وتُرشِدُ الآيةُ الكريمة: إلى أنَّ ما حصلَ مع آل فرعونَ مِن نَكْثِ العُهود، والمكابرة، والجُحود، يشابهُ حالَ كثيرٍ مِنَ المشركين؛ لإيمانهم وقتَ الشِّدَّة، وكُفْرِهم في الرَّخاء[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الوصْل بالفاءِ، في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾:

الإصابةُ بهذه العقوباتِ الشِّدادِ، نِتاجٌ للعُتوِّ والعِنادِ

الفاء عاطفةٌ للتَّرتيب، والتَّعقيب، والإشعار بسببيَّة ما قبلَه، ولتفريع إصابتهم بهذه العقوبات، على عُتوِّهم وعنادهم[3]، وهي تُفيدُ سُرعة الإرسالِ مِن غير مُهْلة؛ جزاءً لِعُتوِّهم وإصرارهم على الكُفر، فإنَّ العذاب لن يتراخى عنهم[4].

عِلَّةُ صَوْغِ الإرسال ماضيًا، وتعدِّيه بـ(على):

تحقيقُ معنَى التَّسليطِ، وتَفْريعِ العذابِ

التَّعبير بالفعل الماضي يُفيد تَحَقُّقَ وقوعِ الفعل، وعُبِّر عن فعل الإرسال بالتَّسليط مِن قَبيل عموم المجاز[5]، والإرسالُ حقيقتُه: توجيهُ رسولٍ أو رسالةٍ، فيُعَدَّى إلى المفعول الثَّاني بـ (إلى)، ويُضَمَّن معنى الإرسال مِن فوق، فيُعَدَّى إلى المفعول الثَّاني بـ (على)، فحَرْفُ (على) المؤدِّي معنى الاستعلاءِ دلَّ على أنَّ جملة:

(1) الواحديُّ، الوجيز، ص: 409.
(2) اللاَّحِم، عون الرَّحمن: 9/274.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/481، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/69.
(4) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/483.
(5) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/484.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا﴾ مُفرَّعَةٌ تفريعَ العقابِ، لا تفريعَ زيادةِ الآيات[1]، و(نا) ضميرُ التَّعظيم المناسب لقُدرته تعالى وعَظَمَته.

سِرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرور على المفعولِ:

كَـوْنُ اللّفظِ الأهـمِّ، يُعطِيه الأولـويّـةَ، على خـلافِ رُتبتِـه الأصْليّةِ

تقديم ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ على المفعول به الصَّريح ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾؛ إذ الأهمُّ الإرسالُ عليهم؛ ولأنَّ للمفعول به الصَّريح طُوْلَ التَّذييل[2]، بتعالق المعطوفات معه فأصبح تعَدُّدُ صنوفِ العذاب وتعالُقُها مع بعضه تراتبًا، وتظافرُها عليهم وكأنَّها وعاءُ عذابٍ واحدٍ تعدَّدت صُورُه.

بَديعُ تنوُّعِ الصِّيغِ الصَّرفيةِ، تعبيرًا عن صنوفِ العذابِ المرئيّةِ:

دَلالاتُ غاياتِ ألوانِ العقابِ، أشدُّ في التّعْبيرِ عـن صـنـوفِ العذابِ

فالطُّوفَان: على وَزْن (فُعْلان) جمع طُوفانَة، أو اسمُ جنسٍ مُشْتَقٌّ مِنَ الطَّواف؛ لأنَّ الماء يَطُوف ويَعُمُّ بالمنازل، أي: تتكرَّر جِرْيَتُه حولَها، أو هو مصدرٌ كنُقصان، ورُجحان فلا يُجمَع، ويقال لكلِّ شيء حادث يُحيط بالجهات ويعمُّ.

والجَراد: على وَزْن (فَعَال)، بمعنى: اسم الفاعل؛ للمُبالغة مِن مصدر: (جَرَدَ)، عُبِّرَ به عنِ اسم الذَّات لتوكيد المبالغة.

ووزنُ قُمَّلٍ: (فُعَّل) صفة مُشَبَّهة للمُبالغة، مِن مصدر: قَمِلَ، عُبِّرَ به عنِ اسم الذَّات لتوكيد المُبالغة، وهو اسمُ جنسٍ، أصلُه (قُمْمَلٌ) أُدغِمت الميمُ الأُولى في الثَّانية[3].

وعُبِّرَ بالجمع عنِ الألفاظ للدّلالة على التَّكثير، باستثناء لفظ (الطُّوفَان) على تأويل الجنسيَّة والمصدريَّة. والدَّمُ المُصاغُ اسمَ جنسٍ دالٌّ على عُموم الجنس، قليلِه وكثيرِه.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/69.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/481.
(3) الشِّهاب، عناية القاضي: 4/354، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/481، وقباوة، المفصّل، ص: 593.

والألفُ واللَّام في الألفاظ الخمس عهديَّةٌ، والمعهودُ: العذابُ المُفَصَّل[1]، أو هي: لتعريف حقيقة الجنس[2].

بَلاغةُ مُراعاةِ النَّظيرِ، وما لها من حُسْنٍ وتأثيرٍ:

تَراتُبِيَّةُ الألفاظِ وتناسُبُها، وحُسْنُ انْتِظامها؛ من بديعِ التّنسيقِ في السِّياقِ

ورد في الآية من ألوان البلاغة ما يُسَمَّى بمراعاة النَّظير[3]، وهو من المُحسِّنات اللُّغويَّة المعنويَّة؛ لمراعاة المحاسن المتعلِّقة بمفردات الألفاظ، وذلك جَليٌّ في سِرِّ استعمال لفظة: ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾، وهي لفظةٌ مُسْتَهْجَنَةٌ في غير القرآن، في حين وردت في الآية حَسَنَةً مُسْتَساغةً، وإنَّما حَسُنَتْ هذه اللَّفظةُ في الآية؛ لأنَّها جاءت مُتدرِّجةً في ضمن كلامٍ متناسبٍ، ولم ينقطع الكلامُ عندها.

وإذا نظرنا إلى حِكْمةِ أسرارِ الفَصاحة في القرآن الكريم، غُصْنا منه في بحرٍ عميق لا قرارَ له، فالآيةُ المُشارُ إليها قد تضمَّنت خمسةَ ألفاظٍ، وهي: ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾، و﴿وَٱلْجَرَادَ﴾، و﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾، و﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾، و﴿وَٱلدَّمَ﴾، وأَحْسَن هذه الألفاظ الخمسة هي: ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾، و﴿وَٱلْجَرَادَ﴾، و﴿وَٱلدَّمَ﴾، فلمَّا وردت هذه الألفاظُ الخمسةُ بجملتها، قُدِّمَ منها لفظتا: ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ و﴿وَٱلْجَرَادَ﴾، وأُخِّرت لفظةُ: ﴿وَٱلدَّمَ﴾ آخِرًا، وجُعِلت لفظتا: ﴿وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ﴾ في الوسط؛ ليَطْرُقَ السَّمعَ أوَّلًا الحَسَنُ مِنَ الألفاظ الخمسة، وينتهي إليه آخِرًا، ثمَّ إنَّ لفظة: ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أحْسُن مِن لفظتي: ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ و﴿وَٱلْجَرَادَ﴾، وأَخَفُّ في الاستعمال، ومِن أجل ذلك جِيء بها آخِرًا، ومُراعاةُ مثلِ هذه الأسرار والدَّقائقِ في استعمال الألفاظ ليس مِنَ القُدْرة البشريَّة[4].

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/484 - 485.

(2) قباوة، المفصّل، ص: 593.

(3) مُراعاة النَّظير: هو جمع الأُمور المُتناسبة، أو هو: الجمع في العبارة الواحدة بيْن المعاني التي بينَها تناسبٌ وائتلافٌ ما، لا على سبيل تقابلِ التَّناقض أو التَّضادّ أو التَّضايف. يُنظر: مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة، ص: 614، والصَّعيديّ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: 4/583.

(4) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 1/169، وجاهين، من صور البلاغة القرآنية، ص: 177 - 178.

سَبَبُ التَّعْبير بلفظِ ﴿ءَايَـٰتٍ﴾، ووصْفِها بأنّها ﴿مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾:

الآيـاتُ دَلائـلُ على غضَبِ الله، وبيانٌ لما سلّطَه الله على المناوِئين

وسمَّاها اللّهُ ﴿ءَايَـٰتٍ﴾؛ لأنَّها دلائلُ على صِدق موسى، لاقترانها بالتَّحدِّي، ولأنَّها دلائلُ على غضب اللّه عليهم، لتظافرها عليهم حين صمَّمُوا على الكُفْر والعِناد.

وانتصب ﴿ءَايَـٰتٍ﴾ على الحال مِن ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ وما عُطِفَ عليه.

﴿مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾ اسم مفعول مِن (فَصَّل) المضاعفِ الدَّالِّ على قُوَّة الفَصْل[1]، وأُخْلِصَ الوصفُ ﴿مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾ ﴿ءَايَـٰتٍ﴾ مِن محض التَّنكير، وفي ذلك مِنَ الإيضاح بعدَ الإبهام، ما ليس في التَّعريف بالإضافة.

التَّعْبيرُ عنِ المعنى، على طريقِ الاسْتِعارةِ التَّصريحيَّةِ:

الـدّلالـةُ على الاكْـتـمـالِ والـتَّـعـدُّدِ، معَ الظُّهورِ والتّفرُّدِ

في قوله تعالى: ﴿ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ، حيثُ استعار ﴿مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾ مِن معنى إزالةِ اللَّبْس والاختلاطِ؛ للظُّهور والوضوح في الآيات، فَشَبَّه ظهورَ الآياتِ ووضوحَها وقيامَ حُجَّتِها وتَعَدُّدَها بالأشياء المحدَّدة بحدودٍ وفواصلَ، ثمَّ حذف المُشَبَّهَ به، ورَمزَ له بشيءٍ مِن لوازمه، والعلاقةُ بينهما إزالةُ اللَّبْس في كلٍّ، والسِّرُّ البلاغِيُّ: هو الدّلالة على الاكتمال والتَّعدُّد مع الظُّهور والوضوح[2]. فالفصلُ حقيقتُه: التَّفرقةُ بينَ الشَّيئين، بحيث لا يختلط أحدُهما بالآخَر، ويُستَعار الفصلُ لإزالة اللَّبْس والاختلاطِ في المعاني، فـ﴿مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾ وصفٌ لـ﴿ءَايَـٰتٍ﴾، فيكونُ مُرادًا منه معنى الفصلِ المجازيِّ، وهو إزالةُ اللَّبْس؛ لأنَّ ذلك هو الأنسب بالآيات والدَّلائل، أي: هي آياتٌ واضحاتٌ لا شُبهة في كونها كذلك، لـمَن نَظَرَ نَظَرَ اعتبارٍ[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/70.
(2) جاهين، من صور البلاغة القرآنيَّة في سورة الأعراف، ص: 177 - 178.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/70.

أو المرادُ: أنَّها مفصولٌ بعضُها عن بعضٍ، بزمان تُمتحَنُ فيه أحوالُهم، ويُنظرُ: أَيَسْتَقيمون على ما وَعَدُوا مِن أنفسهم؟ أم ينكُثون؟ إلزامًا للحُجَّة عليهم[1].

أي: لم تحدُث كلُّها في وقت واحد، بل حدثَ بعضُها بعدَ بعض، وعلى هذا: فصِيغَةُ التَّفعيلِ للدّلالة على تراخي المدَّة بينَ الواحدة والأُخرى، ويَجيء على هذا أنَّ العذاب كان أشدَّ وأطولَ زمنًا، كما دَلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: 48]، وعلى هذا الوجه: فالأنسبُ أن يُجعَل ﴿مُّفَصَّلَتٍ﴾ حالًا ثانيةً مِنَ ﴿ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ﴾، وأن لا يُجْعَل صفةَ ﴿ءَايَـٰتٍ﴾[2].

إيثارُ التّعْبير بالفاءِ السّببيةِ، والفعْلِ المزيدِ، في: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾:

الفسادُ طبَعَ القلوبَ، وغَمَسَ أصحابَها في الضّلالةِ والتّكبُّرِ

والفاء في قوله: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ للسّببيَّة، وللتَّفريع والتَّرتُّب، أي: فتَفَرَّع على إرسال الطُّوفان وما بعدَه استكبارُهم، كما تَفرَّع على أَخْذِهم بالسِّنينَ غرورُهُم، فقالوا بأنَّ ذلك مِن شُؤم موسى ومَن معه، فعُلِمَ أنَّ مِن طَبعِ تفكيرِهم فسادَ الوضْعِ، وهو انتزاعُ المدلولاتِ مِن أضدادِ أدلَّتها، وذلك دليلٌ على انغماسهم في الضَّلالة والخِذْلان، وبُعْدِهم عنِ السَّعادة والتَّوفيق، فلا يزالونَ مورَّطين في وَحْلِ الشَّقاوة، فالاستكبارُ: شِدَّةُ التَّكبُّر، كما دلَّت عليه السِّينُ والتَّاء، أي: عَدُّ أنفسِهم كُبَراءَ، أي: تعاظمُهم عنِ التَّصديق بموسى، الذي يُؤدِّي إلى إبطالِ دينِهم؛ إذ أعرضوا عنِ التَّصديق بتلك الآياتِ المُفَصَّلات[3].

بَلاغةُ التَّعْبير بفنِّ التَّذْييلِ:

تقريرُ الدّلالةِ على ما قَبْلَ التّذْييلِ، مِنَ العذابِ المُفَصَّلِ

و﴿وَكَانُوا۟﴾: فِعْلٌ مُضِيٌّ يُفيد تَحقُّقَ وُقوعِ الخبرِ، وهو وَصْفُ

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/536.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/70.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/70 - 71.

الإجرام واستمرارُه، و﴿قَوْمًا﴾ خبرٌ مُوَطِّئٌ للوصف بعدَه، يُفيد المبالغةَ والتَّوكيد[1]، وجملةُ: ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ معطوفةٌ على جُملة: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾، فالمعنى: فاستكبَروا عنِ الاعتراف بدلالة تلك الآياتِ وأجرموا[2]، وهي جملةٌ تذييليَّة مُقَرِّرةٌ لدلالة ما قبلَها، يعني: العذابَ المفصَّل[3].

فائِدةُ التَّعْبير عن خَبَرِ إجرامِهم بالجُملةِ الاسْميَّةِ:

ثباتُ الوصْفِ وتمكُّنُه ورُسوخُه فيهم، عِلَّةٌ للاسْتِكبارِ

وصِيغَ الخبرُ عن إجرامهم بصيغة الجُملة الاسميَّة للدّلالة على ثبات وَصْفِ الإجرام فيهم، وتَمكُّنِه منهم، ورسوخِه فيهم مِن قَبل حدوثِ الاستكبار، وفي ذلك: تنبيهٌ على أنَّ وَصْفَ الإجرامِ الرَّاسخِ فيهم هو عِلَّةٌ للاستكبار الصَّادرِ منهم، فالفعلُ (كان): دالٌّ على استمرار الخبر، وهو وَصْفُ الإجرام[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(فَصَلَ) و(فَرَّقَ):

الفَصْلُ في الكلام، لِما كان مُرتبِطًا مُتسلسِلًا، والفَرْقُ لِما كان باثنًا عمّا يَقترنُ معه

إنَّ الفَصْل يكون في جملة واحدة، ولهذا يقال: فَصَّل الثَّوبَ، وهذا فَصْلٌ في الكتاب؛ لأنَّ الكتاب جملة واحدة، فالفَصْل يكون ضمن كلام متسلسلٍ مرتبطٍ أوَّلُه بآخِره، غيرِ مختلفٍ عنه، ولا ببائنٍ منه، كما هو الحال في الفَرْق، ولذلك يُقال: مِفْصَلُ الرُّسْغ وغيرِه؛ لأنَّ العضو مِن جملة الجَسد، ولا يُقال في ذلك: مِفْرَق؛ لأنَّه ليس بائنًا، ويقال فرَّق بينَ الأمرين، ولا يقال: فَصَل، وقال بعضُهم: الفَصْل ما كان مِنَ الفَرْق ظاهرًا، ولهذا يقال لما تضمَّنَ جِنْسًا مِنَ الكلام: فصلٌ واحدٌ؛ لظهورِه وتجلِّيه.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/71، وقباوة، المفصّل، ص: 593.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/71.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 8/484، والإندونيسّي، الشَّامل في بلاغة القرآن: 1/422.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/71.

ولـمَّا كان الفَصْل لا يكون إلَّا ظاهرًا، قالوا: فَصَّل الثَّوب، ولم يقولوا: فرَّق الثَّوب[1]، والفَصْلُ أنسب لسياق ورودِ آيات العذاب؛ لكونها جاءت مُفَصَّلاتٍ متسلسلاتٍ مترابطات، إحداها بإثْر الأُخرى، حتَّى عُبِّرَ عن جماعها بالرِّجْز، كما سيأتي في الآية التالية.

(1) العسكريُّ، الفروق اللُّغوية، ص: 149 - 150.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»